Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليا والراوي: ما إن تصمت حتى يندفع ليتابع الرواية عنها كيلا يسبقه "زمن السرعة والإيدز والسقوط والسلام" فترجوه أن يخرس، أو تطلب منه أن يستأذنها كنوع من احترام الآخر وهي التي تتساءل "أي آخر؟ آخر من؟ هو صوت واحد واحد لا أكثر"، فهل تومئ بذلك إلى كذبة التعددية الروائية أم إلى الأحادية المستبدة العميمة؟ مهما يكن فسيملّ الراوي السماع، بعد أن كان ينتفض: "كلميني أنا". ولن تقبل هي أن يكون الناطق الرسمي باسمها. وحينما تلوّح له نهاية الرواية بسقوط حسن تسأله أن ينتحى، إذ لازال لديها الكثير لترويه، لكنها تنفي أن تكون كاتبة: "أنا أستاذة في الجامعة. علي هو الكاتب. احمل أوراقك واذهب إليه. سيطردك لأنك ستفرض عليه أن يكذب". ولأن عليا كانت في هذا الشطر من الرواية، والذي يقارب بداية ثلثها الأخير،.قد أوفت متوالية الذاكرة (تقريباً) تخاطب الراوي: "أنا أيضاً أقول لك اخرج من هنا. لا أريد أن أراك. لم أعد بحاجة لمن يستمع إلي. لقد اكتفيت بما سيرويه علي الزمن القادم".

بيد أن الراوي سينبق فيما بعد عندما تتذكر عليا حبيب المراهقة (خالد) الذي قتلته قنبلة موقوتة من الغارة الإسرائيلية على الرميلة، حيث كان للفدائيين معسكر في أطراف مدينة جبلة.

وسيعلن الراوي في هذا الحضور "أنا ظلالك الأخرى. أعرف أنك متعبة... الذاكرة تفيض الآن". وسيختفي الراوي من بعد، فالحاضر والمستقبل تتولاهما عليا وحدها، لذلك تكتفي بوداعه في مستهل هذا الشطر من الرواية، حين تسرد عن العائلات الكريمة، فتناديه "ياصديقي"، ولأنه لاينتسب إلى هذه العائلات عليه أن يخرس إلى النهاية.

ربما كان التعبير الأكبر عن هذا التنازع بين الراوي وعليا هو ما انقطع به السرد مرة بكلمة (انتباه) ومرة بكلمة (ملاحظة) لينعطف إثر كل منهما من طرف إلى طرف، ولو إلى حين قصير. كذلك هو أيضاً المشهد (المسرحي) الذي قدم زيارة عليا لعلي إثر خروجه من المستشفى. وقد تكون الرواية فوتت فرصة ثمينة إذ لم تستثمر هذه الانعطافات التي كانت ستلون السرد وتوفر له إيقاعاً، ظل يشكو الحاجة إليه.

***

بمتوالية السرد قامت متوالية الذاكرة. وبالحكاية قامت الأولى، فقامت الثانية، فضلاً عن أنه ظل للأولى ماتحكيه من وقائع الحاضر.